(**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)**) .

[آل عمران : ٧٧] .

(**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ**) أي : يأخذون .

- والاشتراء في لغة العرب : الاستبدال ، فكل شيء استبدلته بشيء فقد اشتريته

(**بِعَهْدِ اللَّهِ**) هو ما عاهدوا عليه من الإيمان بالنبي ﷺ .

وقيل : بعهد الله ، أي : بعهدهم مع الناس ، وأضافه الله إلى نفسه لأنه أمر بالوفاء به . قال تعالى (وأوفوا بعهد الله)

(**وَأَيْمَانِهِمْ**) أي : ويشترون أيضاً بأيمانهم ثمناً قليلاً .

والأيمان جمع يمين ، وهي الحلف بالله تعالى ، فيحلف على جحد حق واجب عليه ، أو يحلف على دعوى حق له ، وهو كاذب

قال الرازي : قوله تعالى (إِنَّ الذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله) يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه ما نصب عليه الأدلة ويدخل فيه المواثيق المأخوذة من جهة الرسول ، ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه ، لأن كل ذلك من عهد الله الذي يلزم الوفاء به.

قال تعالى (وَمِنْهُمْ مَّنْ عاهد الله لَئِنْ ءاتانا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) الآية وقال (وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ العهد كَانَ مَسْؤُولاً) وقال (يُوفُونَ بالنذر) وقال : (مّنَ المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عاهدوا الله عَلَيْهِ) .

(**ثَمَناً قَلِيلاً**) وهي حطام الدنيا وعرضها الخسيس الزائل .

- **قال الآلوسي** : وصف ذلك بالقلة لقلته في جنب ما يفوتهم من الثواب ويحصل لهم من العقاب .

وقال رحمه الله : ووجه المشابهة بين إعراضهم وبين الاشتراء ، أن إعراضهم عن آيات القرآن لأجل استبقاء السيادة ، والنفع في الدنيا يشبه استبدال المشترِي في أنه يعطي ما لا حاجة له به ويأخذ ما إليه احتياجه وله فيه منفعته .

وقال رحمه الله : (ثمناً قليلاً) وقد أجمل العوض الذي استبدلوا به ، فلم يبين أهو الرئاسة أو الرشى التي يأخذونها ليشمل ذلك اختلاف أحوالهم فإنهم متفاوتون في المقاصد التي تصدهم عن اتباع الإسلام على حسب اختلاف همهم.

- **قال القرطبي** : وهذه الآية وإن كانت خاصة ببني إسرائيل فهي تتناول مَن فعل فعلهم.

سئل الحسن البصري عن قوله تعالى (ثَمَناً قَلِيلاً) قال : الثمن القليل الدنيا بحذافيرها .

- فالثمن القليل : يشمل المال والمنصب والجاه والشهرة والرفعة ، فإن أحبار اليهود لو آمنوا بمحمد ﷺ لذهبت عنهم بعض ما هم فيه من المكانة والمنزلة والرفعة .

وقد صدق من قال من السلف : من أحب أن يعرف ذهب دينه .

قال الحسن –رحمه الله : عقوبة العالم موت القلب ، قيل له: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة (جامع بيان العلم وفضله) .

قال محمد بن عمر الأسلمي – توفي سنة (٢٠٧هـ) رحمه الله– : لقد كان الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزمان، فيقول أحدهما لصاحبه: لأنت أفلس من القاضي، فصار القضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكاً وأصحاب غلات وضياع وتجارات وأموال! (الطبقات الكبرى) .

قال يوسف بن زكريا –رحمه الله :كان محمد بن يوسف، لا يشتري من خباز واحد، ولا من بقال واحد، وقال: لعلهم يعرفوني فيحابوني، فأكون ممن أعيش بديني ؟ (حلية الأولياء) .

جلس الحسن –رحمه الله – يُحَدّث فأُهدِيَ له فردَّه، وقال: إن من جلس هذا المجلس ثم قَبِل ، فليس له عند الله خلاق ، أو قال: فليس له خلاق (الزهد لأحمد) .

قال وهب بن منبه – توفي سنة (١١٤هـ) –رحمه الله : كان العلماء من قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إليها ،وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم في علمهم، فأصبح أهل العلم يبذلون لأهل الدنيا عِلمَهُم رغبة في دنياهم، وأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه عندهم . (حلية الأولياء) .

قال أبو حازم –رحمه الله – لا تكون عالماً حتى تكون فيك خصال: لا تبغ على من فوقك ولا تحقر من دونك ولا تأخذ على علمك دنيا . (المداراة) .

قال مطرف بن عبد الله –رحمه الله – إن أقبحَ ما طُلبت به الدنيا عملُ الآخرة . (حلية الأولياء) .

قال شميط بن عجلان –رحمه الله – يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها. وكان أبي يقول: فمثله كمثل الذي قال الله عز وجل (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) (حلية الأولياء) .

قال ابن المبارك –رحمه الله – إنما الناس العلماء والملوك والزهاد ، والسفلة الذين يأكلون بدينهم أموال الناس بالباطل ثم قرأ (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) .

قال (يأكلون الدنيا بالدين، قال: فبكى فضيل بن عياض بكاءاً شديداً ثم قال: كذب من قال: إنه لا يأكل بدينه أنا والله آكل بديني . (شعب الإيمان) .

- وقد ذكر العلامة المعلمي أن المنزلة والجاه من موانع الهداية فقال رحمه الله بعد أن ذكر الوجه الأول :

الوجه الثاني : أن يكون قد صار في الباطل جاه وشهرة ومعيشة ، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد .

- وفي هذا أن الدنيا كلها ثمن قليل حقير .

وفي الحديث قال ﷺ (موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه .

وقال ﷺ (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه .

وقال ﷺ (لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء) رواه الترمذي .

ولهذا قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود .

(**أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ**) أي : لا نصيب لهم في الآخرة ، ولا حظ لهم منها .

والآخرة يوم القيامة ، وسمي يوم القيامة آخرة لأنه آخر مراحل البشر .

(**وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ**) أي : كلام لطف بهم .

لكن الله قد يكلمهم كلام إهانة كما قال تعالى (قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ) .

(**وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) نظر رحمة .

- ويوم القيامة سمي بذلك :

أولاً : لقيام الناس من قبورهم .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

ثانياً : لقيام الأشهاد .

كما قال تعالى (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) .

ثالثاً : لقيام الروح والملائكة .

كما قال تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً) .

(**وَلا يُزَكِّيهِمْ**) أي : ولا يطهرهم من آثار رجسهم التي تلوثوا بها .

- **قال الرازي** : قوله تعالى (وَلاَ يُزَكِّيهِمْ) ففيه وجوه الأول : أن لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة بل يعاقبهم عليها والثاني : لا يزكيهم أي لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء والتزكية من المزكى للشاهد مدح منه له.

واعلم أن تزكية الله عباده قد تكون على ألسنة الملائكة كما قال (والملائكة يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مّن كُلّ بَابٍ سلام عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عقبى الدار) وقال (وتتلقاهم الملائكة هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ) (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحياة الدنيا وَفِى الأخرة) .

وقد تكون بغير واسطة ، أما في الدنيا فكقوله (التائبون العابدون) وأما في الآخرة فكقوله (سَلاَمٌ قَوْلاً مّن رَّبّ رَّحِيمٍ) .

(**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) مؤلم موجع .

عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ (ثَلاثَة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" قلت: يا رسول الله، من هم؟ خابوا وخسروا. قال: وأعاده رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: "المسْبِل، والمنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ بالكاذب) رواه مسلم .

وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ (مَنْ حَلَفَ عَلَى يمين هو فيها فَاجِر، لِيقْتَطِعَ بِهَا مَال امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ الله عَزّ وجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ ، فقال الأشعث: فيّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجَحَدني، فقدَّمته إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ : أَلَكَ بَيِّنة؟" قلتُ: لا فقال لليهودي: احْلِفْ ، فقلتُ: يا رسول الله، إذا يحلف فيذهب مالي. فأنزل الله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً) متفق عليه .

الفوائد :

١- تهديد من يشتري بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً .

٢-تحريم اليمين الغموس .

٣- أن اليمين الغموس وعدم القيام بعهد الله من كبائر الذنوب .

٤- إثبات الآخرة .

٥- أنه ينبغي للإنسان أن تكون الآخرة همه .

٦- ذم الدنيا ، وأنه قليلة زائلة .

٧- خطر الدنيا وطلبها والتعلق بها .

٨- التحذير من فتنة الدنيا .

٩- إثبات يوم القيامة . (الأحد : ٦ / ٧ / ١٤٣٣هـ) .

(وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)) .

[آل عمران : ٧٨] .

(**وَإِنَّ مِنْهُمْ**) أي : من أهل الكتاب .

(**لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ**) أي : يعطفونها ، قال ابن عباس : يحرفونه بتأويله على غير مراد الله .

(**لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ**) أي : من أجل أن تحسبوه وتظنوه أنه من عند الله .

والمراد بالكتاب هنا التوراة .

(**وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ**) هذا إبطال لما أرادوه من ليّهم ألسنتهم بالكتاب .

(**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) كذباً على الله .

(**وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) رد على ادعائهم .

(**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) أنه كذب على الله .

- بعض صفات أهل الكتاب كما ذكره الله تعالى .

الحسد : قال تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) نقض الميثاق : قال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم و جعلنا قلوبهم قاسيه) .

الخيانة : قال تعالى (وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) .

كتم العلم : قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) .

تحريف الكتاب : قال تعالى (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) ، وقال تعالى (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) وقال تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) .

قتل الأنبياء : قال تعالى (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) .

وهم الذين قتلوا زكريا ويحيي عليهما السلام ، وحاولوا قتل النبي ﷺ .

قتلهم للدعاء إلى الله : قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ، وقال تعالى (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) .

الفوائد :

١-تحريم أهل الكتاب للكتاب .

٢- تحريم تحريف الكتاب .

٣- الحذر من تأويل القرآن ، وأن من فعل ذلك ففيه شبه من أهل الكتاب .

٤-ينبغي معرفة صفات أهل الكتاب لنجتنبها ، لأن النبي ﷺ أخبر (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ...) .

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)) .

[آل عمران : ٧٩ – ٨٠] .

(**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ**) في هذا رد على أولئك الجاهلين الذين زعموا أن بعض النبيين يصح له

أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله .

والمعنى : لا يصح ولا ينبغي ولا يستقيم عقلا لبشر آتاه الله – تعالى – وأعطاه :

(**الْكِتابَ**) الناطق بالحق، الآمر بالتوحيد، الناهي عن الإشراك، وآتاه (**الْحُكْمَ**) أي العلم النافع والعمل به، وآتاه (**النُّبُوَّةَ**) أي الرسالة التي يبلغها عنه سبحانه إلى الناس، ليدعوهم إلى عبادته وحده، وإلى مكارم الأخلاق، لا يصح له ولا ينبغي بعد كل هذه النعم أن يكفرها ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ بعد هذا العطاء العظيم الذي وهبه الله له كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ أي: لا ينبغي ولا يعقل من بشر آتاه الله كل هذه النعم أن يقول للناس هذا القول الشنيع وهو كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، لأن الأنبياء الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة يحجزهم خوفهم من الله، وإخلاصهم له، عن أن يقولوا هذا القول المنكر، كما يحجزهم عنه أيضاً ما امتازوا به من نفوس طاهرة، وقلوب نقية، وعقول سليمة ... لأنهم لو فرض أنهم قالوا ذلك لأخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر فهو سبحانه القائل (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ. لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ) .

- **قال ابن كثير** : فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى .

ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضا –يعني أهل الكتاب–كانوا يَتعبَّدون لأحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وفي المسند، والترمذي –كما سيأتي–أن عَديّ بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: (بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُم) .

فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنما يأمرون بما أَمَرَ الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام ، إنما يَنْهَوْنهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام ، فالرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعينَ، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حملوه من الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم قيام، ونصحوا الخلق، وبلغوهم الحق.

- **وقال السعدي** : أي : يمتنع ويستحيل كل الاستحالة لبشر منّ الله عليه بالوحي والكتاب والنبوة ، وأعطاه الحكم الشرعي ، أن يأمر الناس بعبادته ، وبعبادة النبيين والملائكة واتخاذهم أرباباً ، لأن هذا هو الكفر ، فكيف وقد بعث بالإسلام المنافي للكفر من كل وجه ، فكيف يأمر بضده ؟

(**وَلَكِنْ كُونُوا**) أي : ولكن يقول لهم : كونوا ، فحذف القول لدلالة الكلام عليه .

(**رَبَّانِيِّينَ**) أي : مقبلين على طاعة الله تعالى وعبادته وحده بجد ونشاط وإخلاص ، بسبب كونكم تعلمون غيركم الكتاب الذي أنزله الله لهداية الناس وبسبب كونكم دارسين له ، أي قارئين له بتمهل وتدبر.

- وقوله تعالى وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ استدراك قصد به إثبات ما ينبغي للرسل أن يقولوه بعد أن نفى عنهم ما لا ينبغي لهم أن ينطقوا به ، أي : لا ينبغي لبشر آتاه الله نعما لا تحصى أن يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن الذي ينبغي له أن يقوله لهم هو قوله : كونوا ربانيين أي مخلصين له سبحانه العبادة إخلاصاً تاماً .

- والمراد بالرباني : الإنسان الذي أخلص الله تعالى في عبادته ، وراقبه في كل أقواله وأفعاله ، واتقاه حق التقوى ، وجمع بين العلم النافع والعمل به ، وقضى حياته في تعليم الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

- **قال الطبري** : وأولى الأقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع"رباني" ، وأن"الرباني" المنسوب إلى"الرَّبَّان" ، الذي يربُّ الناسَ ، وهو الذي يُصْلح أمورهم ، و"يربّها" ، ويقوم بها .

(**بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ**) أي : بتعليمكم الناس الكتاب .

(**وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**) أي : ودراستكم إياه .

● **قال الرازي** : دلّت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانياً ، فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب عمله وكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء مونقة بمنظرها ولا منفعة بثمرها ولهذا قال ﷺ (نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع) .

(**وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً**) أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب .

● وخصص الملائكة والنبيين بالذكر لأن عبادتهما قد شاعت عند كثير من الناس ، فقد وقع في عبادة الملائكة « الصابئة » الذين كانوا يقيمون في بلاد الكلدان ، وتبعهم بعض المشركين من العرب ، ووقع في عبادة بعض النبيين كثير من النصارى فقد اتخذوا المسيح إلها يعبد وزعموه ابن الله وكثير من اليهود عبدوا عزيزا وزعموه ابن الله.

(**أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

كما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ) .

وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) .

وقال تعالى (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) .

وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) .

والاستفهام في قوله أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ للإنكار الذي بمعنى النفي.

الفوائد :

١- أن من منّ الله عليه بالعلم النافع فإنه لا يمكن أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه .

٢- الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يكون معلماً ربانياً .

٣-وجوب عبادة الله وحده .

٤- تحريم الشرك .

(**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)**) .

[آل عمران : ٨١ – ٨٢] .

(**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ**) أي : واذكر يا محمد لمن أرسلناك إليهم ، اذكر هذا العهد والميثاق .

وسمي الميثاق عهداً ، لأن كلاً من المتعاهدين يتوثق به مع الآخر .

(**لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**) أي : للذي أعطيتكم من الكتاب والحكمة .

وقال بعض العلماء : إن (لما) بمعنى مهما ، والمراد مهما أوتيتم من كتاب وحكمة .

(**ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**) أي : ثم جاءكم رسول من عندي بكتاب مصدق لما بين أيديكم وهو محمد ﷺ .

(**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ**) هذا محل الميثاق ، أي : تؤمنوا به وتصدقوه .

(**وَلَتَنْصُرُنَّهُ**) أي : تعينونه على نشر رسالته ، وعلى قتال أعدائه .

- **قال ابن الجوزي** : وفي الذي أخذ ميثاقهم عليه قولان :

أحدهما : أنه تصديق محمد ﷺ ، روي عن علي ، وابن عباس ، وقتادة ، والسدي .

والثاني : أنه أخذ ميثاق الأول من الأنبياء ليؤمننَّ بما جاء به الآخر منهم ، قاله طاووس .

- **وقال ابن كثير** : يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم، عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام، لَمَهْمَا آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته؛ ولهذا قال تعالى وتقدس (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) أي: لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة .

- قيل : ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمنن به، ولينصرنه، وأمر الله النبي أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث فيهم محمداً عليه السلام وهو حيٌّ وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه .

وهذا رفعةٌ وعظمةٌ بين الأنبياء وتعريفٌ وتشريفٌ بين البشرية جمعاء.. إذ هذه مكانة عظيمة، والله جل وعلا يعلم أن النبي ﷺ لن يكون إلا في آخر الزمان، وأنه خاتم الأنبياء.. فإذا جعل الميثاق على كل نبيٍّ بعث أنه يُقرّ ويؤخذ عليه الميثاق إن بُعث محمد وهو حيٌّ، أو بعث في أمته بعد وفاته أن يأخذ العهد والميثاق على الإيمان بمحمدٍ ﷺ وعلى نصرته وأتباعه ؟

وقيل : أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان بعضاً ، فذلك معنى النصرة بالتصديق . وهذا قول سعيد بن جبير و قتادة و طاوس و السدي و الحسن ، وهو ظاهر الآية ،

- **قال ابن الجوزي** : قال بعض أهل العلم : إنما أخذ الميثاق على النبيين ، وأممهم ، فاكتفى بذكر الأنبياء عن ذكر الأمم ، لأن في أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التابع ، وهذا معنى قول ابن عباس ، والزجاج .

(**قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ**) أي : أأقررتم واعترفتم .

(**وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي**) أي : عهدي ، والإصر العهد الثقيل .

(**قَالُوا أَقْرَرْنَا**) أي : اعترفنا .

(**قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**) أي : اشهدوا على أنفسكم وأتباعكم وأنا من الشاهدين عليكم وعليهم .

(**فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ**) أي : عن هذا العهد .

(**فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**) المراد بالفسق هنا الكفر .

عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررتُ بأخٍ لي من قُرَيْظَة، فكتب لي جَوَامعَ من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيَّرَ وَجْهُ رسول اللهِ ﷺ قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً –قال: فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وقال: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى عليه السلام، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنْ الأمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنْ النَّبِيِّينَ) .

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ (لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وإما أنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّه –واللهِ–لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إلا أَنْ يَتَّبِعَنِي .

وفي بعض الأحاديث (لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لَمَا وَسِعَهُما إلا اتِّباعِي) .

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائما إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدَّم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو

الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب لِفَصْل القضاء، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكونَ هو المخصوص به.

الفوائد :

١- وجوب الإيمان بالرسول ﷺ .

٢- فضيلة نبينا محمد ﷺ حيث أخذ الله على جميع الأنبياء الميثاق أن يؤمنوا به .

٣- أنه يجب على الأنبياء أن ينصروا هذا النبي ﷺ .

٤- إثبات كلام الله تعالى .

٥- فسق من تولى بعد قيام الحجة عليه .

(**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)**) .

[آل عمران : ٨٣] .

(**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ**) ينكر تعالى على من أراد ديناً سوى دين الله ، الذي أنزل به كتبه ، وأرسل له رسله ، وهو عبادته وحده لا شريك له .

- **قال ابن عاشور** : الاستفهام للتوبيخ والتحذير ، ودين الله هو الإسلام لقوله تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وإضافته إلى الله لتشريفه على غيره من الأديان ، أو لأنّ غيره يومئذ قد نسخ بما هو دين الله.

(**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**) أي : استسلم له من فيهما طوعاً وكرهاً كما قال تعالى (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) .

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله تعالى ، والكافر مستسلم لله كرهاً ، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم ، الذي لا يخالف ولا يمانع . (تفسير ابن كثير) .

وقيل : أن المؤمن يسجد طائعاً ، والكافر يسجد ظلُّه وهو كاره

وقيل : إن المؤمن أسلم طائعاً ، والكافر أسلم حين رأى بأس الله ، فلم ينفعه في ذلك الوقت .

وقيل : إن إسلام الكل خضوعهم لنفاذ أمره في جبلتهم ، لا يقدر أحد أن يمتنع من جبّلةٍ جبله عليها ، ولا على تغييرها ، هذا قول الزجاج ، وهو معنى قول الشعبي : انقاد كلهم له . (زاد المسير) .

(**وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**) أي : يوم المعاد ، فيجازي كلاً بعمله .

الفوائد :

١- ذم من يبتغي غير دين الإسلام .

٢-لا ينبغي للإنسان أن يتخذ ديناً غير دين الله وهو مربوب لله .

٣-عموم ملك الله وسلطانه .

(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**) .

[آل عمران : ٨٤- ٨٥] .

(**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ**) والإيمان بالله يتضمن الإيمان بوجود الله ، والإيمان بربوبيته ، والإيمان بألوهيته ، والإيمان بأسمائه وصفاته .

- وحد الضمير في (قُلْ) وجمع في (آمنا) :

يحتمل : أن يكون هو وأمته مأمورين بذلك، وإنما حُذِفَ معطوفُه؛ لِفَهْم المعنى، والتقدير : قل يا محمد أنت وأمتك : آمنا بالله، كذا قدَّره ابنُ عطية.

ويحتمل : أن المأمور بذلك نبينا وحده ، وإنما خوطب بلفظ الجمع ؛ تعظيماً له .

- **قال السعدي** : في قوله (قولوا) فيها إشارة إلى الإعلان بالعقيدة والصدع بها والدعوة لها ، إذ هي أصل الدين وأساسه .

(**وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**) **أي** : القرآن العظيم ، ويشمل السنة لقوله تعالى (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) .

(**وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**) أي : من الصحف والوحي .

ولم يبين هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم ، ولكن بيّن في سورة الأعلى أنه صحف ، وأن من جملة ما في تلك الصحف (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) وذلك في قوله (إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى) .

(**وَالْأَسْبَاطِ**) وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل – وهو يعقوب – الإثني عشر .

- والأسباط : هم بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً ، ولد كل رجل منهم أمة من الناس ، فسموا الأسباط ، وقال الخليل بن أحمد وغيره : الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في بني إسماعيل .

قال البخاري : الأسباط قبائل بني إسرائيل ، وهذا يقتضي أن المراد بالأسباط ههنا شعوب بني إسرائيل ، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين منهم ، وهذا اختيار الطبري .

(**وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى**) أي : من التوراة والإنجيل والآيات كاليد والعصا وكإخراج الموتى بإذن الله .

قال تعالى (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) وهو التوراة بالإجماع ، وذكر ما أوتيه عيسى وهو الإنجيل كما في قوله تعالى (وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ) .

(**وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ**) هذا يعم جميع الأنبياء جملة .

أي : ونؤمن بما أنزل على غيرهم من الأنبياء جميعاً ونصدق بما جاءوا به من عند الله من الآيات البينات والمعجزات الباهرات .

- سؤال : فإن قيل : كيف يجوز الإيمان بإبراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة ؟

قلنا : نحن نؤمن بأن كل واحد من تلك الشرائع كان حقاً في زمانه فلا يلزم منا المناقضة، أما اليهود والنصارى لما اعترفوا بنبوة بعض من ظهر المعجز عليه، وأنكروا نبوة محمد ﷺ مع قيام المعجز على يده، فحينئذ يلزمهم المناقضة فظهر الفرق. (مفاتيح الغيب)

(**لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**) يعني : بل نؤمن بجميعهم .

أي : نؤمن على هذا الوجه ، فلا نفرق بين أحد منهم في الإيمان بهم ، لا في الاتباع ، فلا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض كما فعلت اليهود والنصارى

- **قال ابن عاشور** : ومعنى (لا نفرق بين أحد منهم) أننا لا نعادي الأنبياء ، ولا يحملنا حبّ نبينا على كراهتهم ، وهذا

تعريض باليهود والنصارى ، وحذف المعطوف وتقديره لا نفرق بين أحد وآخر ، وتقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة.

وهذه الآية شعار الإسلام وقد قال الله تعالى (وتؤمنون بالكتاب كله) .

(**وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**) أي : منقادون أو مخلصون أنفسَنا له تعالى لا نجعلُ له شريكاً فيها ، وفيه تعريضٌ بإيمان أهلِ الكتاب فإنه بمعزل من ذلك.

(**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**) أي : من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه .

والمراد بالإسلام هنا : الإسلام الخاص الذي جاء به نبينا محمد ﷺ .

(**وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين**) الخسران في الآخرة هو حرمان الثواب وحصول العقاب شبه في تضييع زمانه في الدنيا باتباع غير الإسلام بالذي خسر في بضاعته .

الفوائد :

٤-وجوب الإيمان بالقلب واللسان .

٥- وجوب الإيمان بما أنزل علينا .

٦- ثبوت نبوة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب .

٧- وجوب الاستسلام لله تعالى .

٨- بطلان كل عمل ليس على دين الإسلام .

٩- أن جميع الأديان غير دين الإسلام غير مقبولة عند الله .

١٠- إثبات الآخرة .